حمد شهاب الأنباري

سماء سابعة

والسماء السابعهْ،
لو رآني النّاسُ في حفلةِ رقصٍ رائعهْ،
لبكوا من ألمي.
والسماء السابعهْ،
من رآى الماءَ قد احمرَّ فذا لونُ دَمي.
والسماء السابعهْ،
من رأى بُرجَ السمواتِ وقد مالَ قليلاً،
فلأنّي...
إذْ دَحْوتُ الأرضَ زلّتْ قدمي!
....
من تُرى أدخلَ عفريتاً من الجنّ الى قلبي؟
فإني قلقٌ في هذه الساعة،
هل يدخلُ هذا الجنُّ في غرفةِ نومي وينام؟
هل تُرى يأتي مع الليل إذا يغشى وإذا
يؤرّقني هذا السقام؟
هل تُرى يُحزنُهُ الهزُّ مع الريح؟
أني الساقطُ في العدِّ كأنّي ورقٌ في عاصفهْ.
إنّني بين ألوفِ الناسِ لا يُشبهني إلاّيَ ـ
أو هذا الذي كان شبيهي في القرونِ السالفهْ.
....
مرّةً...
أو ربّما أقصدُ مرّات، وإذ يدخُلُ هذا الضوءُ
من نافذة الغرفة لا أصحو ولا أصحو.
هي الغفوةُ، بل ذي سكرةُ الموت، فيا
مُطربةَ الحيِّ رأيتُ البارحهْ...
وكأنّي في الضحى أعصرُ خمراً في جرارْ.
وكأنَّ الأرضَ، هذا الكوكبَ الدُريَّ، أضحى
بُرجَ نارْ.
....
أيقظتني هذهِ النجمةُ إذْ كنتُ توحّدتُ مع
الله وإيماني ضعيفٌ...
هي أن تدنو ويأتيك الذي تُحمدُ عُقباهُ مع
البلوى ـ
فقد تنقلبُ الفأسُ على الرأسِ وإذ تدنو قليلا
لا ترى غيرَ دمٍ ينزفُ ذي الحكمة:
مَنْ كان على بيّنةٍ بالأمرِ أو كان على نيّاته
يُضحي قتيلا.
....
إذ يجيءُ الزمنُ الطالعُ من تاريخنا الأعمى ـ
فأستجلي الذي كنتُ تمنّيتُ ولا شيءَ
سوى ما تأخذُ الريحُ ـ
إلهي سقطتْ سُنبلةُ الوقتِ على حقلٍ من
البارود
فالكونُ دمٌ والأرضُ نارْ.
من تُرى ينفخُ في قلبي لكي أبردَ
لو كنتُ مجوسيّاً لأطعمتُكَ قنطاراً من الفضّة
فالجمرةُ روحُ الله ـ
والناسُ الذين انكسروا أو سقطوا هذا
الشَرارْ.
آهِ يا سُنبلةَ الوقتِ المندّاةَ من الدمعِ...
المندّاةَ دماً
قد لا يراني مَلَكُ الموتِ وأسناني من
الرجفةِ تصطكُّ
إلهي يا إله الفقراءْ.
نحنُ في غمرةِ هذا الوقتِ ضعنا
ضيّعتْنا الطُرُقُ الصخريّةُ الخشْنَةُ
ذي أقدامنا تُدمى وها نحنُ ضحايا في العراءْ.
....
في بريدِ الليلِ ضيّعتُ أحبائي وضيّعتُك
يا مريمُ
يا طعماً خلاسيّاً ويا نفحةَ قدّاحٍ
شممناها مع الفجرِ وقلنا:
آه ما أطيبَهُ هذا العَبَقْ.
علّمينا أنتِ يا مريمُ عن سرِّك، عن طعمك،
هل يشبهُ طعمَ اللهِ أو طعمَ أحبّائي الذين
انكسروا
أو ربما فرّوا؟
وهل سوف يجيئون إذا ما قمرُ الليلِ
اتّسقْ؟
....
مالَ قرصُ الشمسِ يا مريمُ، مالْ.
وأنا أنفخُ كالثعبانِ من سمّي ولا أبردُ
أو يهدأُ ليَ بالْ
فهل جئتُ زماني خطأً؟
أم جاءني مَنْ قال إني سائرٌ بين قلاع
الرومِ والوعدِ المُحال؟
....
ربُّنا هذا الهيوليُّ الذي ضيَّعَنا بين زحام
الناسِ
والأحذيةِ الملقاة....
بين العربِ الأعرابِ والبيزنط
بين الخبزِ المضحكِ والمُبكرِ وبين الشُبُهاتْ.
أيها الربُّ الذي يفقدُ معناهُ مع الوقتِ
أضعناكَ ـ
أضعنا حجراً يسقط من أرضٍ عليّين ـ
وضيّعنا الحياهْ.

العراق (ليبيا)